- الشيخ مسعود - و الذين معه

بين قولة - اللغة الفرنسية منفى - وقولة - إن اللغة الفرنسية غنيمة حرب -
راح الكتّاب في المغرب العربي يواصلون مسيراتهم الأدبية والفكرية معتبرين
أن رسالة الكتابة أنبل و أشمل من اللغة الفرنسية التي بها يكتبون حيث
جعلوا منها وسيلة إبلاغ أشمل مدى و أبعد أفاقا ، خاصة و قد تجاوز أغلبهم
محنة الكتابة بالفرنسية و عقدتها نحو اعتبارها نافذة يطلون منها على العالم
لإبلاغه مباشرة شجونهم وشؤونهم متمثلين بحكمة - و خاطب القوم بما
يفهمون -

ما علي بني الوطن حينئذ إلا أن يحذقوا لغات غير لغتهم أو أن يترجموا إليها
ورغم أن الأديب التونسي محمد الأزغب بدأ النشر سنة 1952 باللغة
العربية على جريدة الصباح و هو في أول تعليمه الثانوي فإنه ظل محجما عن
النشر طيلة دراسته ثم مدة انخراطه في الجيش الوطني بعد ذلك إلى أن
أحيل على التقاعد فبادر على إثر ذلك مباشرة إلى نشر روايته الأولى باللغة
الفرنسية - المهاجر - ثم واصل النشر تباعا حتى بلغ جملة ما صدر له إلى سنة
2007 سبعة كتب ما بين روايات وقصص قصيرة وخواطر و يوميات وغيرها
ومن بين ما صدر له رواية - الشيخ مسعود - وهي تتحدث عن فترة الحرب
العالمية الثانية إلى حدود إستقلال تونس و ظهور الحركة الوطنية المسلحة
في منطقة غمراسن بالجنوب الشرقي من الجنوب التونسي الذي كان
خاضعا للحكم العسكري المباشر طيلة عهد الإستعمار الفرنسي حيث تولّى
الشيخ مسعود المسؤولية الأولى في منطقتة القائمة على العصبية القبلية
بما فيها من تحالفات وتناقضات ومنافسات فكان عليه الفصل في القضايا
الخاصة والعامّة بما يقتضيه العرف والعادة و كان عليه أن يتعامل مع الواقع
الإستعماري بما كان فيه من قوة و بطش فإستطاع في أغلب الأحيان بفضل
ذكائه و دهائه أن يجنب الأهالي ردود فعل الجيش الفرنسي و أن يخفي آثار
الوطنيين بإبعاد الشبهات عنهم أو إعلامهم قبل مدهمتهم وقد صورت الرواية
في غضون تفاصيلها المجتمع البدوي ودقائق عاداته في حياته اليومية من
المسكن واللباس والأدوات المنزلية إلى المأكل و المشرب و أدوات الزينة
لدى المرأة و عادات الأفراح و الأتراح بالإضافة إلى ذكر أسماء الأمكنة
بمنطقة غمراسن بحيث أن الرواية يمكن أن تعتبر وثيقة تاريخية سجلت فيها
عهدا من تاريخ تونس المعاصر ليس من السهل الكتابة في تفاصيله دون
السقوط في بعض المزالق الخاصة باعتبار أن شخصية الشيخ مسعود
شخصية واقعية قد وجدت فعلا وأن قراءتها التاريخية قد تختلف بحسب
المنطلقات المتنوعة لدراسة تلك المرحلة التاريخية

للأديب محمد الأزغب كتاب آخر مهم وعلى قدر كبير من الأهمية و هو كتاب جمع فيه 13 قصة قصيرة بعنوان - حكايات نساء - حيث ترك لهن الحديث عن تجاربهن المريرة مع الرجال فإذا الكثيرات منهن قد عرفن الخيبات و الانكسارات بعد معايشة أصناف عديدة من الرجال مما يؤكد أن المجتمع التونسي بعد فترة الإستقلال تلك التي شهدت انتشار التعليم و خروج المرأة إلى الحياة العامة قد عرف هزات خطيرة على المستوى الاجتماعي والنفسي كان للمرأة فيها النصيب الأثقل و الأخطر بما تحملن فيه من أوزار العائلة و العمل بالإضافة إلى الموروث الاجتماعي المعرقل لدى الرجال

قد كتب محمد الأزغب في صنف غير منتشر بكثرة لدى الكُتاب العرب وهو صنف رواية الجوسسة حيث أصدر رواية - شبكة الغزالة - التي تتمحور أحداثها حول التصدي لشبكة أجنبية فيتم القضاء عليها وذلك بالدخول ضمن أفرادها ومعرفة أهدافها و مخططاتها وهي رواية صعبة التفاصيل على مثلي لأنها تقوم على كثير من الحرفية والتخصص في رصد الحركات والتقاط الإشارات

و غير بعيد عن اختصاص الكاتب تعتبر - يوميات الحرب على العراق - تسجيلا لما كان يشعر به من حيرة وذهول و أسف وهو يتابع وقائع الحرب ساعة بساعة ويوما بيوم مع التحليلات العسكرية الدقيقة والمعلومات التي كان يستقيها من مختلف الجهات بحيث أن هذا الكتاب يعتبر سجلا دقيقا لتلك الحرب التي واكبها العسكري من خلال وسائل الإعلام

أما كتاب - السرك - فهو فصول موجزة وبلغية حيث أطلق الكاتب فيها لقلمه العنان ليغوص في الواقع التونسي فيكشف مختلف أغواره ، من المرأة و الرجل إلى المحيط والعمل ، ولا يستنكف من ذكر تفاصيل حياته اليومية إذ الكتاب من هذه الناحية شهادة عن الذات و تصوير للمجتمع ، و يتراوح الأسلوب فيه من التصريح إلى التلميح حيناً و بين السرد والحوار والشاعرية حيناً آخر و لا تخلو كثير من الفصول من النقد والسخرية

لئن نشر الأديب محمد الأزغب كتبه بعدما أنهى العمل المباشر في الجيش فإن هذا مما جعله ينكب بصفة جدية على الكتابة كأنه يريد أن يستدرك ما فاته من الزمن - ولكنه من حيث يدري أو لا يدري فقد تسنى له أن يغتنم خبرته مما قضاه من تلك السنوات... نعم إن الأدب الحقيقي يكتبه صاحبه في أناة ومعاناة